

أضواء البيان

@ 265 @ .

كما قال ابن جرير وغيره عن مجاهد في قوله تعالى : { سَأَلْ سَأَلُ } قال : دعا داع بعذاب واقع . قال : هو قولهم { اللّٰهُمَّ } إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا مِطْرًا . والقائل هو النضر بن الحارث بن كلدة . .
والإيضاح المنوه عنه يمكن استنتاجه من هذا الربط ومن قوله رحمه الله : إنه يدل على جهالتهم وبيان ما إذا كان هذا العذاب الواقع هل وقوعه في الدنيا أم يوم القيامة . .
والذي يظهر والله أعلم : أن جهالة قريش دل عليها العقل والنقل ، لأن العقل يقضي بطلب النفع ودفع الضر كما قيل : .
لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن ساعياً . .
وأما النقل فلأن مما قص الله علينا أن سحرة فرعون وقد جاءوا متحدين غاية التحدي لموسى عليه السلام ولكنهم لما عاينوا الحق قالوا آمنا وخرنا سجداً ولم يكابروا كما قضى الله علينا من نبئهم في كتابه قال تعالى : { فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى } ولما اعترض عليهم فرعون وقال : { ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ } إلى آخر كلامه ، قالوا وهو محل الشاهد هنا ، لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ولم يبالوا بوعيده ولا بتهديده . .
وقال في استخفاف : فاقض ما أنت قاض ، فهم لما عاينوا البينات خروا سجداً وأعلنوا إيمانهم وهؤلاء كفار قريش يقولون مقالتهم تلك . .
أما وقوع العذاب المسؤول عنه فإنه واقع بهم يوم القيامة ، وإنزلاً عما عبّر بالمضارع الدال على الحال للتأكيد على وقوعه ، وكأنه مشاهد وقاله الفخر الرازي وقال هو نظير قوله تعالى { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } . وفي قوله تعالى { لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دَافِعٍ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ } دليل على تأكيد وقوعه لأن ما ليس له دافع لا بد من وقوعه . أما متى يكون فقد دلّت آية الطور نظيره هذه أن ذلك سيكون يوم القيامة في قوله تعالى : { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ } ثم بين ظرف وقوعه { يَوْمَ تَمْوَرُّ السَّمَاءُ مَوْرًا } وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا } وفي سياق هذه السورة في قوله تعالى : { يَوْمَ تَكُونُ